الأختام المنبسطة وطبعاتها والدلايات

تم الكشف عن أعداد كبيرة من الأختام المنبسطة والدلايات، إذ أن الإنسان وبعد إستقراره وإنتاجه لكميات كبيرة من السلع وخاصة في عصر حلف، والتي كان بعض منها مخصص للاستعمال الشخصي وأخرى للتجارة، الأمر الذي دفع الإنسان للشعور بضرورة القيام بتمييز ممتلكاته عن ممتلكات الآخرين إلى إختراع الختم المنبسط، المتمثل بقطع حجرية منقوشة ومثقوبة لغرض التعليق. إستخدام هذه الأختام يؤكد أهمية التعامل التجاري في هذا العصر، وممكن عدها خطوة أولية في التطور الفكري نحو إختراع الكتابة.

عملت هذه الأختام من الحجر الصابوني وأحجار الكالسيت والفرت والكوارتز والحجر الرمادي والسيتايت والكرستال والعظم، والمعادنن ومنها النحاس.

وكانت هذه الدلايات بأنواع مختلفة، منها دلايات بشكل قطرة الماء وتكون مستوية في جانب واحدة ومحدبة في الجانب الأخر وهي مختلفة في التحدب، وتوجد حزوز منقوشة على الجانب المستوي. وهناك دلايات ذات جوانب ثلاثة مستقيمة أو ذات جوانب منحنية ووجه واحد محدب أو مثلثة ذات وجوه مستوية، وتكون ذات جوانب مستقيمة أو منحنية أو بشكل مثلث مقطوع وللبعض منها ثقب قد يستعمل للتعليق. وهناك دلايات مستطيلة أو قرصية أو مخروطية الشكل، بعضها مثقوب بالوسط، والقرصية ذات مقبض وهي مخروطية محدبة، وهي ذات ثقب طولاني، وهناك دلايات مخروطية ذات ثقب مثبت بعروة يدوية عند القاعدة. وهناك دلايات بشكل رأس ثور، أو حماراً وحشياً.

وعثر على طبعات أختام وهي تمثل الأثر الذي تتركه الأختام عند ضغطها على الطين، وهي ذات شكل بيضوي أو دائري، وعادة عليها ثقوب طولانية، وتحمل سلسلة علامات غير واضحة المعنى. كانت هذه الطبعات تثبت على مادة ما لتدل على مالكها أو لتحديد هويتها.

ظهرت هذه الأختام والدلايات والطبعات في عدة مواقع منها الاربجية وتبة كورا ويارم تبة ٢ وباني هيلك وغيرها. ينظر الشكل الآتي :

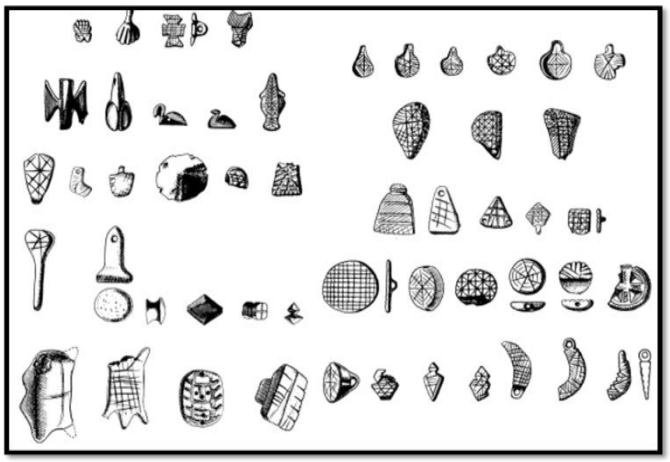

الرسم والتلوين

ظهرت أقدم الرسوم في أعماق كهوف العصور الحجرية القديمة في اوربا، مثلت مشاهد صيد الحيوانات نفذت بأساليب مختلفة، واقعية وتجريدية ورمزية. ربما كانت تمثل إجراءات طقوسية سحرية من أجل السيطرة على الحيوانات أثناء عملية صيدها وهو ما يعرف عند الباحثين بالسحر التشبيهي.

وأقدم النماذج في فن الرسم وجدت في العراق القديم جاءت من موقع أم الدباغية، كانت تزين جدران أحد المباني العامة، إذ تم طلاء الجدران بالطين الناعم، ثم رسمت فوقها أشكال أستخدمت فيها اللونين الأسود والأحمر.

كانت غالبية هذه الرسوم قد تعرضت للتلف، وما بقي منها يمثل عملية صيد لحيوان(الانغر)، وهو نوع من الحمير الوحشي. فضلاً عن حمار الوحش هناك مجموعة من الغزلان والأيائل، والتي تبدو وكأنها مطادرة من الخلف لتقع في كمين نصبه لها عدد من الرجال الذين تصدوا لها بوابل من السهام. لقد نفذ المشهد بنفس أسلوب الرسومات من العصور الحجرية القديمة في كهوف أوربا في فرنسا واسبانيا إلا أنه يعود لمرحلة العصر الحجري الحديث اللاحقة. ينظر الشكل الآتي:

كذلك وجدت رسومات تمثل دوائر وخطوط متموجة ربما ترمز إلى طير العقاب وهو ينقض على طريدة. ينظر الشكل الآتي :

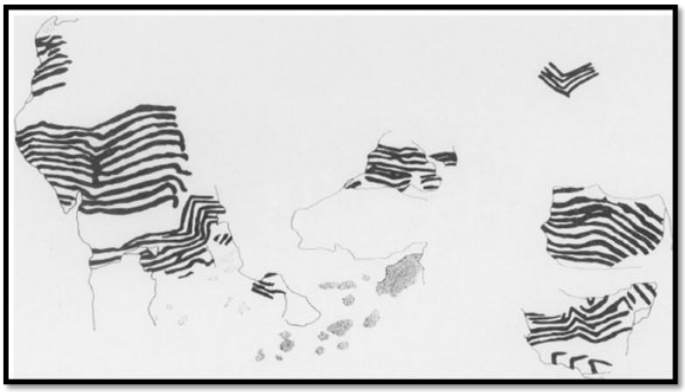

المعادن والصناعات المعدنية

يعد معدن النحاس من أقدم المعادن التي أستخدمها العراقيون القدماء وكان بشكل مادة تسمى (الملاكايت) وهو بلون أخضر أستخدمت بشكل مساحيق للتلوين.

فقد استخدم في عصر حسونة، ربما بشكله الطبيعي وذلك بطرقه دون تسخين، وشاع أستخدامه في عصر حلف. وتقع مناجم المعادن بشكل عام خارج العراق مثل مكان(عمان) ووبلاد الاناضول ومناطق جبال زاكروس وحمرين.

واستخدموا كذلك مادة البرونز، وتعد سبيكة البرونز المصنوعة من مزج النحاس والقصدير من أجود أنواع البرونز، عموماً أستخدمت سبائك البرونز بسبب قوته التي تفوق قوة النحاس.

وظهر الحديد في مراحل متأخرة ربما في بداية الألف الثاني ق.م.، ربما بسبب الحاجة إلى صهره في درجات عالية تزيد عن ٩٠٠، عموماً أستخدم بكثرة في العصر الآشوري الحديث في صناعة الأسلحة.

الفصل الرابع

الفن في عصر العبيد

عثر في موقع العبيد على أنواع من مخلفات مهمة، منها الفخار والدمى الفخارية ذات الطابع المميز لحضارة العبيد.

الفخار

حصلت بعض التطورات الهامة خلال عصر العبيد، شجعت على قيام دراسات نافعة للفخاريات السائدة في هذا العصر، تتعدى تعريف الأفق الثقافية في الزمان والمكان. خصوصاً وأنه في هذا العصر هناك دلائل على وجود نوع من وسيلة العمل أو ما نطلق على تسميته(دولاب الفخار) الذي ساعد كثيراً على تسهيل وتسريع وزيادة الكميات المنتجة من الفخاريات وتحسن زخارفها عند أواخر عصر العبيد. وبشكل خاص القدرة على أنتاج أو عمل أشرطة زخرفية ملونة والتي كانت تشكل عن طريق مسك الفرشاة أما الآنية التي تدور ببطء على الدولاب، وهو أمر ساعد على إنتاج كميات هائلة من الأواني تحمل نفس الأشكال والطرز من الزخارف أو الرسوم التي تزين أسطح الأواني الفخارية، وهو ما حصل في عصر العبيد وهكذا فأن النجاح منقطع النظير لهذا الإبتكار التقني يجب أن يخضع للتفسير بحذر.

تميزت فخاريات العبيد بصلابتها لشدة الحرق ولونها على الأغلب أخضر مصفر، كما أنها امتازت بانتظامها واتقانها وذلك لكونها صنعت بالدولار الفخاري ولم يتم تشكيلها باليد. وتقنية الدولاب زادت من كمية الانية المنتجة كما أشرنا أعلاه، كما ساهمت في تعدد أنواعها وأشكالها، كالصحون والكؤوس والأواني والأقداح، وقد زخرفت هذه الفخاريات بشكل اكثر تجريداً بالاعتماد على الأشكال الهندسية غير التصويرية من أمثال المعينات والمثلثات والمربعات وأنصاف الدوائر، كما واستخدمت الخطوط العمودية والأفقية والحلزونية والمتعرجة والمنكسرة في تكوينات زخرفية. وقد تؤلف هذه الخطوط حقولاً تحوي بينها أحياناً رسوماً مبسطة لأشكال حيوانية أو نباتية ذات تفريعات أو آدمية ولو على نطاق محدود، ينظر الشكل الآتي:

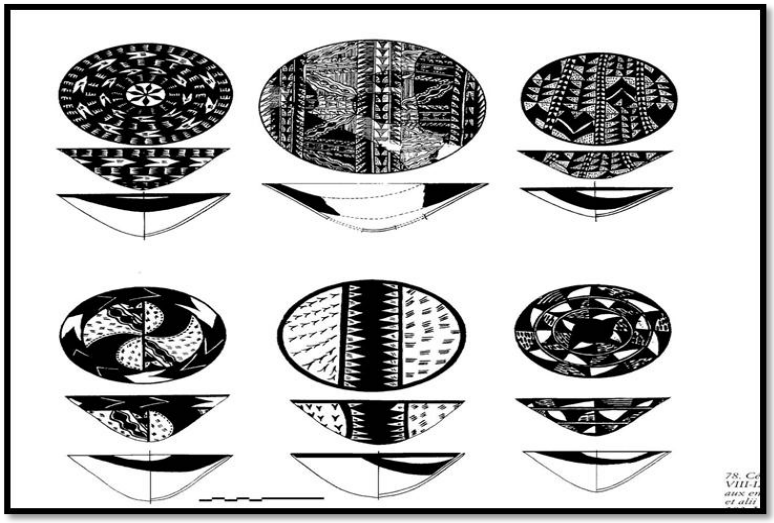

الدمى الطينية

لم يتجاوز الشكل التعبيري في مجال النحت المجسم في عصر العبيد إلا في دمى طينية وجدت في مدن أور وأريدو. ومن أمثلة النحت المعروفة لدينا من هذا العصر مجموعة من الدمى الفخارية الحيوانية والبشرية. تماثيل الحيوانات الفخارية الصغيرة في غالبيتها كانت مصنوعة للأطفال على نحو غير متقن ولا تتمتع بأية قيمة فنية. ينظر الشكل الآتي :

أما تلك التي كانت تعتمد على الشكل الإنساني أو تتخذ صفات الإنسان فهي ذات مغزى ديني أو سحري يضعها في دائرة التماثيل المعبودة.

كانت فيها أشكال الذكور والإناث البشرية تعمل من الطين على هيئات تختلف عن الطبيعة تماماً. وكانت بعض الأجزاء من الجسم يبالغ في صوغها بينما كانت أجزاء أخرى تعمل بلا عناية وبحجم أصغر(بعضها أقل من ١٥ سم). وقد أستعمل التلوين ليساعد على إعطاء بروز وقوة للصفة الخارقة التي تجسدها هذه الدمى، والتي لم تكن سوى نتاجات حرفية. ينظر الشكل الآتي :

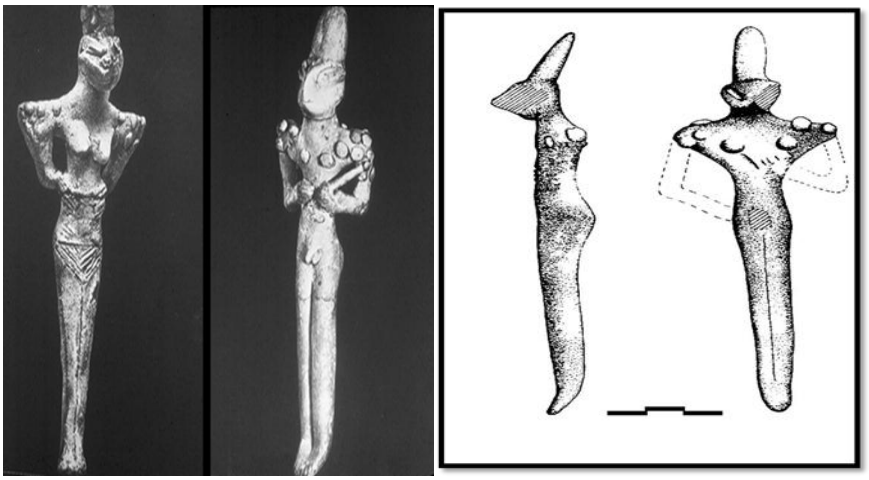

عموماً تميزت الدمى الطينية من عصر العبيد بأنها تختلف عن نظيراتها في العصور السابقة كما في مواقع جرمو وحلف، التي أشرنا إليها في الفصول السابقة، من حيث الأسلوب والطراز. إذ تميزت بأنها كانت واقفة دوماً ورشيقة وتمسك الإناث منها غالباً بطفل أو تريح أيديها على أردافها، وجسدت هذه الدمى وهي عارية وزينت باستخدام التكفيت بحبات صغيرة من الفخار أو القار وضعت على الأكتاف كأنها إشارة لنوع من الوشم والحلي، ويبدو أن النحات الذي قام بتكوين الدمى لم يجرؤ على تنيم الرأس بشكل واقعي، بل أنه راح يطلق العنان لخياله للخروج بالشكل الآدمي عن واقعه، فاقترب إلى وجه أقرب إلى الضفدع أو الأفعى متوجة بشعر اصطناعي مثبت بالقار.

يصعب اطلاق تسمية الإلهة الأم على هذه التماثيل والدمى وذلك لوجود دمى أخرى في ذات الموقع وبنفس الطراز إلا أنها لرجال عراة، مما زاد مشكلة معرفة هذه الدمى، إذ أنها ربما تمثل آلهة أو عفاريت ذات طبيعة طقوسية معينة. ينظر الشكل الآتي:

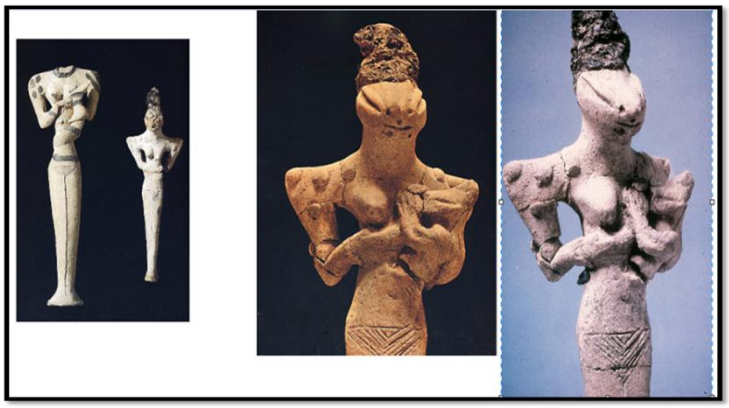

عموماً ليس هناك من سبيل لربط هذه التشكيلات من الطين التي ترجع إلى عصر عبيد بنماذج النحت الأولى المجسمة من بداية العصور التأريخية في بلاد الرافدين اللاحقة.